

المستخلص

وفاء حسن وريثة. العقلانية والواقع العلمي عند غاستون باشلار. (رسالة ماجستير).- بغداد : الجامعة المستنصرية : كلية الاداب : قسم الفلسفة ، ٢٠٠٩ .

رسالتي بعنوان "العقلانية والواقع العلمي عند غاستون باشلار" ، غاستون باشلار ، فيلسوف علم فرنسي، احتل مكانة مهمة جداً في الفكر الفرنسي الفلسفي المعاصر ، مكانة جعلته يصبح مرجعاً فطرياً أساسياً في تاريخ العلوم، بل وحتى في تاريخ الفلسفة. تأتي هذه الأهمية لباشلار وذلك من القطيعة التي أحدثها مع الاتجاهات التي كانت تسود فرنسا آنذاك ، وكان أغلبها يحمل طابع المثالية. لقد أراد باشلار من فلسفته أن تكون استجابة لعلم عصره، اقتناعه بان الفلسفات المعاصرة والكلاسيكية معظمها فلسفات ذات انسق مغلقة حاولت أن تستغل النتائج العلمية لصالح الأنساق المبنية مسبقاً.

لذا أول ما حاول باشلار فعله هو أن يعلن انه لا وجود لعقلانية، مغلقة، ثابتة، وهذا ما أثبتته العلوم المعاصرة، فعلى فيلسوف العلم المعاصر أن يعلن انفتاح المذهب العقلاني. وهذا درس من دروس العلم المعاصر الذي على كل فيلسوف أن ينتبه له. لذا جاء فصل رسالتي الأول يتحدث بالشيء القليل عن العقلانية الحديثة والمعاصرة، ثم بعد ذلك انتقل للعقلانية الباشلارية، ليستوعب القارئ القطيعة التي حققتها العقلانية الباشلارية مع العقلانيات الأخرى. ولاكتمال التصور حول العقلانية الباشلارية تناولت في الفصل الثاني تصور العقلانية الباشلارية للمعرفة العلمية، محاولة مني لإبراز المرحلة الجديدة التي انتقلت اليها المعرفة العلمية بفعل الثورات العلمية المعاصرة، لهذا يرى باشلار انه من الضروري قيام عقلائي جديدة تكون متوافقة مع المعرفة العلمية المعاصرة. فقد اخذ واقع المعرفة العلمية المعاصرة، مساحة كبيرة من إنتاج وفكر باشلار، حتى أن رسالته في الدكتوراه جاءت بعنوان "محاولة في المعرفة التقريبية" وكانت الأطروحة الرئيسية لهذه الرسالة هي محاولته أن يعرض كيف ينبغي لمفهومي الواقع والحقيقة أن يأخذا معنى جديداً في فلسفة اللادقيق. وقد أثمرت هذه التحليلات في إبراز الواقع الجديد الذي آل إليه هذين المفهومين. فمع طابع النسبية والتقريبية والاحتمالية الذي كان الطابع الأساسي للنظريات العلمية المعاصرة أصبح من المستحيل معها التفكير بوجود حقيقة مطلقة ثابتة. مع باشلار نفهم أن الحقيقة العلمية هي ليست ذلك الموضوع، أو التصور، أو الواقع الجامد الذي ما علينا إلا أن نستخرجه و نعرفه، بل إن الحقيقة العلمية عند باشلار إنتاج، وهذا الإنتاج يكون نظري ممكن أن يتحقق ويكون واقع وذلك عن طريق التقنية. وهذا بالضبط ما يثبته تصورات باشلار لمفهوم الواقع العلمي، وهو موضوع الفصل الثالث من رسالتي. لقد تعلمنا من دروس العلم المعاصر، إن الواقع العلمي لا أن يكون حسي، أو عقلائي فقط وإنما هو واقع جدلي، أي واقع عقلائي ومحسوس بنفس الوقت، عقلائي من حيث انه منتج نظري بحت، وهذا بفضل المعادلات والرموز الرياضية، وهو محسوس، لأنه قابل لأن ينطبق، أي يتحقق عن طريق التقنية. وهذا ما أثبتته الفيزياء المعاصرة، وبناء على المواضيع السالفة الذكر توصلت في رسالتي إلى النتائج الآتية حول موضوع رسالتي :-

١- إن الأوصاف والنعوت التي تطلق على العقلانية الباشلارية مثل إنها عقلانية ، مطبقة جدلية، انتقائية، وما إلى ذلك من صفات أخرى فكل صفة تحمل درس من الدروس التي يقدمها العلم المعاصر لنا حول العقلانية. ومن الممكن تخصيص تسمية الفوق عقلانية لنعى العقلانية الباشلارية، باعتبارها الوصف الحقيقي للموقف العقلائي الذي أراد أن يتجاوز ويتضمن بنفيه العقلانية الكانتية.

٢- إن التحليلات الباشلارية للمعرفة العلمية وما آلت إليه من واقع جديد، أي كونها معرفة تقريبية من الدرجة الثانية، هذا الواقع يسند التصور الباشلاري للعقلانية من حيث كونها منفتحة، أو مطبقة، أو

جدلية.وبذلك يثبت صحة الفوق عقلانية الباشلارية القائمة أساساً على العقلانية العلمية المعاصرة
،العقلانية التي أبرزت لنا تصوراً جديداً لمفهومي الحقيقة والواقع.